حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

التفسير في مجالس التذكير

ودعوة إلى إعاشتها وإشاعتها

بقلم
د. عبد الحكيم الأنيس
إدارة البحوث

التفسير في مجالس التذكير
ودعوة إلى إعاشتها وإشاعتها

الطَّبعَةُ الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م

ISBN 978 - 9948 - 499 - 88 - 6

حُقوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae

الإخراج الفني
حسن عبد القادر العزاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الهادي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: ففي رمضان يطيب الكلام على القرآن، ففيه ابتدأ نزوله، وسطع نوره، وتدفقت بركاته، وعمت هباته.

والكلام على القرآن كلام طويل الفصول، متشعب الأغراض، متعدد الجوانب، مختلف المنازع.

وأريد في هذه الكلمات أن أتحدث عن جانب من جوانب نشر معارفه، وتعميم هداياته، وبثِّ روحه، وإعلان أحكامه، وصبغ الأمة بصبغته. ولقد كان لعلماء الأمة في هذه الميادين جولات مظفرة، وقاموا بنشر معارف القرآن خيرَ قيام، كلُّ ذلك اقتداء بالنبي المبلِّغ الأعظم ﷺ الذي أنزل اللهُ القرآنَ على قلبه، ويسره بلسانه، وكلفه ببيانه قولاً وعملاً.

وقد تعددتْ وجوه نشر المعارف القرآنية، فكان من ذلك تأليفُ الكتب، والإملاءُ على الناس والتدريس، وبيانُ المعاني والمباني من خلال المجالس العامة.

■ فأما تأليفُ الكتب فقد بلغت المصنفات في التفسير للقرآن كله أو بعضه أعداداً كبيرة جداً، واستقصاؤها يطول كثيراً، ومَنْ ألقى نظرة على كتب طبقات المفسرين ومعاجمهم، وكتب الفهارس والتراجم العامة والخاصة رأى من ذلك الكم الكبير.

■ وأما الإملاء على الناس والتدريس (وفي هذا نوع خصوصية إذ يكون موجهاً إلى طبقة خاصة من المتعلِّمين والمحصِّلين) فهو كثير أيضاً، ويُذكر هنا الأخفش (ت بعد: ٢٠٧ هـ)، والفراء (ت: ٢٠٧ هـ)، والزجاج (ت: ٣١١ هـ) الذين أملوا على طلابهم « معاني القرآن »[١]، ويُذكر العالم الأديب عمر بن عثمان الجنزي (ت: ٥٥٠ هـ) الذي شرع في إملاءِ تفسيرٍ قيل عنه: لو تمَّ لم يُوجدْ مثله[٢].

---

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ٩١ من المقدمة)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢١ من المقدمة).

(٢) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٧).

كما يُذكر هنا: الإمام فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ) وقد أكمل التفسير على المنبر إملاء[١].

ويُذكر قاضي قضاة الشام يونس بن بدران المصري الدمشقي (ت: ٦٢٣ هـ) الذي درّسَ تفسير القرآن في المدرسة العادلية الكبيرة في دمشق، فلما أكمل التفسير تُوفي عقب ذلك[٢].

ويُذكر الإمام عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت:٦٦٠هـ) وقد ألقى التفسير بمصر دروساً، وهو أول مَنْ فعل ذلك[٣].

ومثله العلامة ابن عقيل النحوي (ت: ٧٦٩ هـ) فقد ولي درس التفسير بالجامع الطولوني في القاهرة بعد شيخه أبي حيان الأندلسي، وختم به القرآن تفسيراً في مدة ثلاث وعشرين سنة، ثم شرع في أول القرآن بعد ذلك، فمات في أثناء ذلك[٤].

---

(١) الوافي بالوفيات (٤/ ٢٥٥).

(٢) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٨٤).

(٣) حسن المحاضرة (١/ ٢٧١).

(٤) طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٤٠).

وكذلك العلامة بدر الدين الغزي (ت: ٩٨٤هـ) وقد ختم درس التفسير في الجامع الأموي بدمشق[١].

■ وأما تفسير القرآن في المجالس العامة، مجالس الوعظ والتذكير، والإرشاد والتبصير - وهو مقصودي الأول من هذه الرسالة - فقد كان للعلماء فيه جهودٌ موفَّقةٌ مشكورةٌ، وأيادٍ ناصعةٌ مبرورةٌ، وعاد من ذلك على الأمة خيرٌ وفيرٌ، ونفعٌ كبيرٌ، وكانت هذه المجالس منارات هدي، وإشعاع صلاح، ومثابات توبة وإنابة.

---

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ٢٢٣). وممّا يدل على أنَّ هذا الدرس تخصصيٌّ ما جرى في مجلس الختم من نقاش بين الشيخ المفسِّر بدر الدين والمولى علي جلبي ابن الحنائي القاضي بدمشق فيما يتعلق بإعراب السمين الحلبي و تفسير أبي حيان الأندلسي، واعتراضات السمين عليه. فقال الشيخ بدر الدين: إنَّ أكثرها غيروارد. وقال القاضي: أكثرها وارد.

وجرى بينهما من الأبحاث الرائقة ما تناقلته الرواةُ، وسارتْ به الركبان.

ثم طلب القاضي من الشيخ أن يكتب في ذلك شيئاً، فاستخرجَ عشرة أبحاث رجَّح فيها كلام أبي حيان، وزيَّف اعتراضات السمين، وسمّاها: « الدر الثمين في المناقشة بين أبي حيان والسمين » فلما وقف القاضي عليها انتصر للسمين، ورجَّح كلامَه، وأجاب عن اعتراضات الشيخ، وردَّ كلامَه، وكتب في ذلك رسالةً وقف عليها علماءُ الشام، ورجحوا كتابته على كتابة الشيخ بدر الدين كما قال الحاج خليفة.

وللعلماء في هذه المجالس طرائق:

فمنهم مَنْ يختار موضوعاً يشبعه كلاماً وتحقيقاً.

ومنهم مَنْ يختار آية يفيض في الكشف عنها كما ذُكر عن الإمام أبي عثمان الصابوني النيسابوري (ت: ٤٤٩هـ) فقد أقام أشهراً في تفسير آية[١].

ومنهم مَنْ يختار سورة أو سوراً وهكذا.

فأما مَنْ بدأ مِن أول القرآن وفسره في مجالسه على التوالي، وختم القرآن كله، أو استأثر اللهُ به قبل الإتمام، فقد وقفتُ على عدد منهم، وأحب أنْ أذكرهم وأذكِّرَ بهم هنا، وهم:

١ - الفقيه المفسِّر الحافظ الصوفي الواعظ عبد الله بن محمد الأنصاري الهَرَوي - نسبة إلى مدينة هراة في أفغانستان - (ت: ٤٨١ هـ).

كان يفسِّر القرآن في مجلس التذكير، فذكر أبو عبد الله الحسين بن محمد الهروي الكتبي في « تاريخه » أن الشيخ لما رجع

---

(١) طبقات المفسرين للداودي (١/ ١٠٩).

من محنته الأولى ابتدأ في تفسير القرآن، ففسَّره في مجالس التذكير سنة (٤٣٦ هـ).

وفي سنة (٤٣٧ هـ) افتتح القرآنَ يفسِّره ثانياً في مجالس التذكير.

قلت: ويُفهم من هذا أنه انتهى من تفسيره وبدأ بختمة ثانية.

قال المؤرخ الكتبي: « وكان الغالب على مجلسه القول في الشرع، إلى أن بلغ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة، وبنى عليها مجالس كثيرة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ [الأنبياء: ١٠١] بنى عليها ثلاث مئة وستين مجلساً.

فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٠] كُفَّ بصرُه سنة (٤٧٣ هـ).

ولما بلغ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] قال: « في كل اسم من أسماء الله تعالى سر

خفي »، وأخذ يفسِّر خفايا الأسماء حتى بلغ « المميت »، فأخرج من البلد في الفتنة الأخيرة (سنة ٤٧٨ هـ).

فلما عاد سنة (٤٨٠ هـ) عَقَدَ المجلس على أمر جديد، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى. وأخذ يستعجل في التفسير، ويفسِّر في مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها، يريد أن يختم في حياته، فلم يُقدر له ذلك، وتوفي وقد انتهى إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ [ص: ٦٧-٦٨] ».

وقال محمد بن طاهر الحافظ: سمعتُ شيخنا الأنصاري يقول: إذا ذَكرتُ التفسير فإنما أذكره من مئةٍ وسبعةِ تفاسير[١].

٢- الإمام الحافظ الفقيه الأديب الخطيب الواعظ أبو بكر محمد بن أبي المظفّر منصور السمعاني (ت: ٥١٠ هـ).

قال ولدُه الإمامُ الحافظُ أبو سعد: « من عجيب ما اتفق أن آخر مجلس أملاه كان افتتاحه بقوله ﷺ: « إنَّ أمامكم عقبة كؤداً، لا يجوزها المثقلون، فأنا أُحبُّ أنْ أتخفف لتلك العقبة ».

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٥٨).

وكان قد وصل في التفسير الذي يذكره في مجلس الوعظ إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٣].

وتوفي عقب ذلك، ابنَ ثلاثٍ وأربعين سنة »[١].

٣- الإمام المفسِّر الحافظ الفقيه الواعظ الأكبر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي (ت: ٥٩٧ هـ).

وكانت له المجالسُ التي سارت بذكرها الركبان، واتفقَ على الثناء عليها وعِظمِ الانتفاعِ بها الخاصُّ والعامُّ، وقد وفقه الله لتفسير القرآن في مجالسه وختمه وفي ذلك يقول في تاريخه « المنتظم » في حوادث سنة (٥٧٠ هـ) - وكان له فيها من العمر ستون سنة، أو يزيد قليلاً -: « وفي يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى: انتهى تفسيري للقرآن في المجلس على المنبر، فإني كنت أذكر في كل مجلسٍ منه آياتٍ من أول الختمة على الترتيب، إلى أن انتهى، فسجدتُ على المنبر سجدة الشكر، وقلت: ما عرفتُ أنَّ واعظاً فسَّر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن، فالحمد لله المنعم.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٧/ ١٠)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/ ٢٦٢).

ثـم ابتدأت في أول ختمة، وأنا أفسِّـرها على الترتيب، واللّه قادر على الإنعام بالإتمام والزيادة من فضله »[١].

وينتهي تاريخه هذا بسنة (٥٧٤ هـ) فلا ندري هل أتم هذه الختمة أو لا؟ وإذا أتمها فمتى؟ كما أنه لم يذكر كم استغرق التفسير الأول من الزمن لنقيس عليه، وقد عاش الشيخ بعد هذا زمناً طويلاً : « ٢٨ » سنة، إلا أنه قضى خمس سنوات منها منفياً إلى واسط.

أما قوله : « ما عرفتُ أنَّ واعظاً فسَّر القرآن كله في مجلس الوعظ »، فلعله لم يبلغه ما نُقِلَ عن الشيخ عبد اللّه الأنصاري الهروي، أو لم يصح عنده. وعلى أية حال فالأولية لأحدهما.

ويذكر هنا أن ابن الجوزي كان يحض على مراعاة الترتيب فقد قال في كتابه « المنتخب » : « فإذاأنهى الواعظُ الخطبة شَرَعَ في تفسير آيات من القرآن، فإن ابتدأ من أول التفسير فذكر منه وظيفة في كل مجلس على الترتيب فهو أحسن، وفي كتابي (زاد المسير) مقنع عن غيره، فمن سمت همته إلى زيادة شرح فعليه بكتابي المسمى بـ (المغني) ».

---

(١) المنتظم (١٨/ ٢١٣).

هذا، وقد أفاد من الإمام ابن الجوزي تلامذتُهُ وطلابُهُ كما سيأتي معنا في المثالين الآتيين:

٤ - الفقيه الواعظ المفسِّر محمد بن أبي القاسم الخضر الحَرّاني، شيخ حَرّان وعالمها وخطيبها (ت: ٦٢٢ هـ).

ولد في حران، ورحل إلى بغداد طالباً للعلم، ولازم أبا الفرج ابن الجوزي وسمع منه كثيراً من مصنفاته، وقرأ عليه كتابه « زاد المسير في علم التفسير » قراءةَ بحثٍ وفهمٍ... ورجع إلى بلده، وجدَّ في الاشتغال، ثم أخذ في التدريس والوعظ والتصنيف، وشرع في إلقاء التفسير بكرة كلّ يوم بـ « حران » في سنة (٥٨٨ هـ)، وواظب على ذلك حتى فسَّر القرآن خمسَ مرات، انتهى آخرُها إلى سنة (٦١٠ هـ)، وكان مجموع ذلك في ثلاثٍ وعشرين سنة، ذكر هذا في أول « تفسيره » الذي صنَّفه... وله تصانيف كثيرة منها: « التفسير الكبير » في مجلدات كثيرة، وهو تفسيرٌ حسنٌ جداً[1].

---

(١) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٤٤-١٤٥).

٥- الشيخ المقرىء الواعظ محمد بن عبد الوهاب الأنصاري الدمشقي الشيرازي الأصل ابن الحنبلي (ت: ٦٥٢ هـ).

أخذ عن أبي الفرج ابن الجوزي، وحفظ الكثيرَ، وعَرَفَ التفسير، وقدم مصر، ودخل الأندلس سنة (٦٥١ هـ) وعبر سَبْتة، وتكلّم في الوعظ بجامعها أشهراً، وجال في الأندلس، ورجع إلى سبتة، وتوجه إلى أزمور، وقدم مراكش وهو يعظ في كل ذلك، فيفتتح مجلسَهُ بالتفسير بعد الخطبة والدعاء وشيء من أخبار الصالحين ومن كلام ابن الجوزي، ويختم بفصل من السِيَر، ومجالسه على التوالي، يبدأ اليوم من حيث انتهى بالأمس، وكلامه في ذلك متقن، يشهد بحسن تقدمه[1].

وهو إن كان يمزج التفسير بغيره، إلا أن افتتاحه به على التوالي يجعلنا ندخله في هذا الباب.

٦- العلامة الكبير الشيخ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرّاني الدمشقي (ت: ٧٢٨ هـ).

---

(١) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٩٣).

توفي والده وكان له حينئذ إحدى وعشرون سنة، فقام بوظائفه بعده، فدرَّسَ بدار الحديث السكرية في أول سنة (٦٨٣ هـ)، ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبرِ أيامِ الجُمَعِ لتفسير القرآن العظيم، وشرع من أول القرآن، فكان يُورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو أكثر، وبقي يفسِّر في سورة نوح عدة سنين أيام الجمع[1].

٧- العلامة المفسِّر الحافظ المؤرِّخ الأديب إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ).

وقد فسَّر القرآن كله في مجالسه في جامع الظاهر بالحسينية خارج القاهرة - آنذاك - وذكر هذا في تاريخه « إظهار العصر » فقال: « في يوم الجمعة ثامن عشره - أي رمضان من سنة (٨٦٠ هـ) - ختمتُ تفسير القرآن العظيم في جامع الظاهر بالحسينية خارج القاهرة، عن نيف وعشرين سنة، أعان الله على إكماله مرة

(١) الذيل لابن رجب (٢/ ٣٨٨).

أخـرى، وأعظـم النفـعَ بذلك آمين. ثـم ابتدأت يـوم الجمعة خامس عشـريه فـي ختمـةٍ أخـرى، فتكلمت علـى تفسـير الفاتحـة متبركاً بالختم والابتداء في رمضـان، ولا سـيما خامس عشريه، فإن القرآن أنزل على ما رُوي في الرابع والعشـرين منه إلى السماء الدنيا. وكنت أنظر في غالب الأمر « الكشـاف »، و« تفسـير البيضاوي »، و« النهر » لأبـي حيـان، وأضـيف إلـى ذلك مـا يفتحه اللّه علـيَّ ممّـا أحفظُ من الأحاديث والسِّيَرِ وغير ذلك »[١].

٨- العلامـة المفسّـر الواعـظ محيـي الديـن محمد بـن إبراهيم النكساري (ت: ٩٠١ هـ).

قـال طاشـكبري زاده عنـه: « كان يذكِّـرُ الناسَ تـارة فـي جامـع أيـا صـوفيه، وتـارة فـي جامـع السـلطان محمـد خـان - فـي مدينـة اسـطنبول - وقـد حَضَـرَ السـلطانُ بايزيـد خـان فـي جامـع أيـا صـوفيه لاسـتماع تفسـيره، وقـد ختـم تفسـيرَ القـرآن العظيـم في

(١) إظهار العصر (ج ٢ / أحداث سنة ٨٦٠هـ).

جامع أيا صوفيه، ثم قال: أيها الناس إني سألتُ الله تعالى أن يمهلني إلى ختم تفسير القرآن العظيم، ولعل الله تعالى يختمني عقيب ذلك. فدعا الله سبحانه وتعالى بالختم على الخير والإيمان، فأمّن الناس لدعائه. ثم أتى بيتَهُ ومرض وتُوفي رحمه الله تعالى »[١].

٩- العلامة المفسِّر المصلح الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس (١٣٠٧هـ - ١٣٥٩هـ).

وقد فسَّر القرآن كله في خمس وعشرين سنة متواليات، في الجامع الأخضر في قسنطينة، واحتُفل بالختم في ١٣ من ربيع الآخر سنة ١٣٥٧هـ، احتفالاً كبيراً، وقد وصف هذا الاحتفال العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وصفاً رائعاً.

ونُشِرَ من هذه الدروس في مجلدٍ ما كان المفسِّر ينشره في مجلة الشهاب، بعنوان: « مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ».

---

(١) الشقائق النعمانية (ص١٦٦).

وفي هذا العصر يذكر:

١٠- الشيخ المفسِّر الداعية محمد متولي الشعراوي (ت:١٤١٩هـ).

وهو أشهرُ مفسِّري هذا العصر، وقد آتاه الله علماً وفهماً، وقدرة على تسهيل المسائل العلمية، فهو بحقٍّ مقنعُ الخاصة، وممتعُ العامة، وقد بدأ بتفسير القرآن، وفسّره في مساجد متعددة في القاهرة وغيرها، ولعله وصل إلى الجزء الثامن والعشرين منه، وكان لمجالسه صدىً كبير، وانجذب إليها مستمعوها على اختلاف طبقاتهم، وكان الشيخ - مع ذلك - لا يسمِّي ما يقوله تفسيراً، إنما يسميه خواطر.

١١- ومما يُلحق بمجالس التذكير - ولكن على صورة أكبر وأوسع - ما قام به الشيخ محمد المكي الناصري (ت:١٤١٤هـ):

فقد فسّر القرآن في الإذاعة الوطنية في المغرب أيام الستينات، وذلك بإلقاء أحاديث يومية. وقد طبعت هذه الأحاديث في ستة مجلدات بعنوان: «التيسير في أحاديث التفسير»[1].

---

(١) انظر: الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري للأستاذ إبراهيم وافي، ص ٢٤٢-٢٤٥.

وبعد: فقد قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]: «الحكمة: المعرفةُ بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله»[١].

وقال أبو الدرداء: «الحكمة: قراءة القرآن والفكرة فيه»[٢].

وقال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٠ هـ): «الفهم والإصابة في القرآن»[٣].

وقال قتادة بن دعامة (ت: ١١٧ هـ): «القرآن والفقه فيه»[٤].

فما أحوجنا إلى التحلي بهذه الحكمة، والاستنارة بأنوار القرآن، والاعتصام به.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وغيره من طريق علي بن أبي طلحة. انظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٧٥)، ونقل منه - ولم يصرح - طاش كبري زاده في «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» (٢/ ٥٧٧-٥٧٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: الإتقان (٢/ ١٧٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٦).

(٤) المحرر الوجيز (١/ ٢٦).

إن القـرآن حبـل اللّه المتين الذي مَنْ تمسَّـك به نجـا، وفي الأمة اليـوم أهـوال ومخاوف ومهالـك، فهل تتمسـك بكتاب ربهـا لتنجو مَنْ أمواج طاغية عاتية هادرة تكتسح كل شيء.

والتمسـك بالقـرآن لابُـدَّ أن يقـوم على وعـي عميق، وفهـم دقيق لهـذا الكتـاب الـذي يضـمن لأهلـه - إذا علمـوه وفهمـوه وحكمـوه - الفـلاحَ والنجـاحَ، وكمـا قـال التابعـي الجليـل إياس بـن معاويـة (ت: ١٢٢هـ): « مثل الذين يقرؤون القرآن ولا يعرفون تفسيره كمثل قـومٍ جاءهم كتابٌ مِنْ ملكهم ليلاً، وليس عندهم مصـباحٌ، فتداخلتهم روعةٌ لا يدرون ما في الكتاب! ومثل الذي يَعْرِفُ التفسـير كمثل رجلٍ جاءهم بمصباحٍ فقرؤوا ما في الكتاب »[١].

فيـا أمةَ القـرآن عَوْداً عَـوْداً إلى القـرآن وإلى عوالمـه الرحيبة، وإشراقاته الهادية، وسعاداته الغامرة، وإلى ظلاله الندية، ومنهجه المنير، وحكمه العدل.

---

(١) المحـرر الوجيـز (١/ ٢٦)، وجامع أحكام القـرآن (١/ ٢٦-٢٧)، ومثله تقريباً في زاد المسير (١/ ٤).

وإنـي لأرجو أن تتبنـى وزارات الأوقاف في العالم الإسـلامي هذه الطريقـة المذكـورة، وأن تعمـل علـى إقامـة مثـل هـذه المجالـس، وتُـوكِلَ أمرها إلى علماء مفسّـرين ربانيين، لينشـروا معـارفَ القرآن كاملـة شـاملة، وحبـذا أن يكون فـي كل مدينـة مسـجدٌ أو أكثر تقام فيـه مثل هـذه المجالـس، ويُعلـن عنها، وتنقـل عبر أجهـزة الإعلام المرئيـة والمسـموعة، ليسـطع فـي النفوس نـورُ القـرآن، ويطـردَ الظلمـات الجاثمـة، والعفونـات المتراكمـة، وهـذا أقـلُّ واجباتنـا تُجاه كتاب ربنا.

ولنتذكـر مقولـة الإمام محمـد بن جرير الطبـري: « إني لأعجب ممّن قرأ القرآنَ ولم يعلم تأويله، كيف يلتذ بقراءته؟ ».

ولنتخذ من رمضـان موعداً للصلح مع القرآن لفظاً ومضموناً، معنىً ومبنىً، إيماناً وإسلاماً، سلوكاً وإحساناً، دنيا وآخرة، حكماً وأحكاماً.

والحمدُ لله أولاً وآخراً، وصـلَّى الله وسلَّم على المبلِّغ الأول سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

أنموذجٌ من مجالس ابن الجوزي التفسيرية التذكيرية

للإمام ابن الجوزي كتابٌ سمّاه « المُنتخب في النُّوب » قال عنه: « هذا الكتاب هو الذي وضعته للكلام على الآياتِ على الترتيب، كل آية تليق أنْ تُقرأ نوبةً... فإنْ أهملتُ ذكرَ بعض الآيات القرآنية اللائقة فلنيابة أختها عنها، وقد أكملتُها مئة نوبة ».

وقد وقفتُ على مختصره « مُنتخب المنتخب »، وحصلتُ على ثلاث نسخ مصورة منه، من دار المخطوطات في البحرين برقم (٢٥)، ومكتبة شهيد علي في اسطنبول برقم (٣٢٩)، ومكتبة حسن حسني عبد الوهاب برقم (٤٩٢)، وفيه مئة فصل، للكلام على مئة آية، وقد اخترتُ منها الفصل الثالث وهو في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قال رحمه الله تعالى: « الفصل الثالث في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

إنما سمّى الصدقةَ قرضاً لثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّ القرض يُبْذَلُ للجزاء، فتطمئنُّ نفسُ البخيل إلى العِوَض.

الثاني: أنه يتأخر قضاؤُه فيعلِّمُ الصبر.

الثالث: لبيان العِوَضِ به [1].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « مَنْ تصدّق بعِدل تمرةٍ من كسب طيِّب، ولا يصل إلى الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمنيه، ثم يربِّيها لصاحبها كما يربِّي أحدُكم فلوه حتى تكون مثل الجبل ».

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعود الأنصاري قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: « لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة كلها مخطومة ».

---

(١) في زاد المسير (١/ ٢٨٩): « الثالث: لتأكيد استحقاق الثواب به إذ لا يكون قرض إلا والعوض مستحق به ».

اعلم أنَّ للقرض الحسن صفات:

■ منها أن يكون حلالاً:

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: « لا يقبل اللّٰه صدقة من غلول ».

وكان الحسن يقول: أيها المتصدِّق على المسكين يرحمهُ ارحمْ مَنْ ظلمتَ.

■ والصفة الثانية: أن يكون من محبوب المال:

قرأ ابنُ عمر: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ فقال: لا أجدُ شيئاً أحبَّ إلي من جاريتي رميثة، فهي حرَّةٌ لوجه اللّٰه تعالى.

ومرض فاشتهى شيئاً، فجاءه سائلٌ بعدما صُنع له ما اشتهاه، فناوله إياه وقال: إنَّ عبد اللّٰه يحبّه.

■ الصفة الثالثة: أن يكون في صحة المتصدق:

فقد قال عليه السلام: « مثل الذي يُعتِقُ عند الموت كمثل الذي يُهدي إذا شَبِعَ ».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الصدقة أفضل؟ قال: « أنْ تصدَّق وأنت شحيحٌ صحيحٌ، تأملُ البقاء وتخشى الفقر، ولا تمهِّل حتى إذا بلغتِ الحلقوم قلتَ: لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلان » .

■ الصفة الرابعة: أن يصَّدَّق المُصَّدِّق ويقصدَ وجهَ اللّٰه تعالى:

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: « يُؤتى يوم القيامة برجلٍ وسَّع اللّٰهُ عليه فيقال: ما عملتَ؟ فيقول: ما تركتُ مِنْ سبيل تحبُّ أنْ ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك. فيُقال: كذبتَ، ولكن فعلتَ ليُقال: هو جواد، وقد قيل. فيُسحب على وجهه فيلقى في النار ».

■ الصفة الخامسة: إخفاء الصدقة، فإنه يقرِّبُ المتصدق من الإخلاص، ويباعِدُ الفقير من الذل.

فيا عجباً إذا كان المعمولُ مِنْ أجله يرى ويعلمُ فما الخلقُ في البَيْن؟

■ **الصفة السادسة: أن تكون بغير مَنٍّ ولا أذى.**

والمنُّ أن يمنَّ على الفقير بما يعطيه.

ويحك تمُنُّ عليه! إنما يأخذ منكَ لكَ فهو أمنُّ عليك.

والأذى من وجهين:

أحدهما: مواجهة الفقير بما يؤذيه من الكلام.

الثاني: أن يخبر النّاسَ بما فعل مع الفقير.

ولقد كان حسّان بن أبي سنان يشتري أهلَ البيت فيعتقهم، ولا يُعلِمُهم مَنْ هو.

قال بشرٌ: الصدقة أفضلُ من الحج والعمرة والجهاد، [ذاك] يركبُ ويرجعُ فيراه النّاس، وهذا يُعطي سرّاً فلا يراه إلا اللّه.

ويُرْوى عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه خرج من ماله مرتين، وقاسَمَ ربَّه بماله ثلاثَ مرات.

وبُعِثَ إلى عائشة رضي الله عنها بقريبٍ من مئتي ألف درهم، فقسمَتْها، ثم أفطرتْ على خبز وزيت، فقالت لها جاريتُها: لو اشتريتِ لنا لحماً بدرهم. فقالت: لو ذكرتِني لفعلتُ.

يا أيها البخيلُ عن نفسه: أنتَ خازنُ الورثة.

أفٍّ لثيابِ أحرارٍ على عبيدِ الأَنْفُس.

إنَّ نعمةَ الجاهل كروضةٍ في مزبلة.

جبانٌ عن الإنفاق والمالُ وافرٌ ورُبَّ سلاحٍ عند مَنْ لا يُقاتِلُ[1]

فيامَنْ لا يؤدِّي ما يحبُّ كيف تطمعُ في مرتبةِ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ ﴾؟

استُشْهِد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، والحارث ابن هشام، فأُتي عكرمة بماءٍ وبه رَمَقٌ فرأى سهيلاً ينظرُ إليه فقال: ابدؤا به، فرأى سهيلٌ الحارثَ ينظرُ إليه فقال: ابدؤا به،. فماتوا قبل أنْ يشربوا! فمرَّ بهم خالدُ بنُ الوليد فقال: بنفسي أنتم.

---

(١) البيت لأبي إسحاق الغزي.

كان إبراهيمُ بنُ أدهم إذا غزا لا يأخذ من الغنيمة شيئاً، فيُقال له: أتشكُّ أنه حلالٌ؟ فيقول: إنما الزهدُ في الحلال.

هلا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكِ

إنْ كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي

يخبرْكِ مَنْ شهد الوقيعة أنني

أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنمِ[1]

❁ ❁ ❁

يا جامعَ الأموال مِنَ الحُطام وهو لا يَدري ما جنى.

كلما نَقَضَ الواعظُ أصلاً مِنْ حرصهِ بنى.

إلى متى يبعُدُ الأملُ والأجلُ قد دنا.

يحتاجُ إخراجُ المال إلى عزمٍ ليس لنا.

---

(١) البيتان لعنترة.

إنْ كنتَ تطيقُ أنْ تلقى السيفَ والقنا فالقنا.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾.

❁ ❁ ❁

يا هذا: الفقيرُ يَطلُبُ منّا لنا.

فكأنَّا بمنعِهِ نَمْنَعُ الخيرَ أنفسنا.

غير أنَّ البخل داءٌ قد قتلنا.

تاللهِ لو عرفْنا المُخَاطِبَ ومَنْ عنى لمَنَعْنا مَنْعَنا.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾.

❁ ❁ ❁

يا مَنْ ضيَّعَ في طلبِ الدنيا عُمْرَه.

كلما حجَّ في قصدِها أردفها عُمْرَة.

يا مَنْ سقاهُ الهوى خمرَه.

فلمْ يعقِلْ أمرَه.

استفقْ من هذه الغَمْرة.

كل حبَّة في يديك لو فهمتَ جمرة.

فاتقِ النار ولو بشقِّ تمرة.

(إنما نطلبُ شيئاً هيّنا)[١].

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾.

❁ ❁ ❁

أسبابُ حرصِك في الدنيا قويّة.

والهمةُ خسيسةٌ ليستْ عليَّة.

قد ضاعَ ما مضى فاستدرك البقيّة.

قدِّم مالَكَ فقد استقرضَ منكَ ربُّ البريّة.

إن لم يكن لكَ عملٌ فلتكن نيّة.

---

(١) من قصيدة للخفاجي.

(فعِدُونا بأحاديثِ المُنى)[١].

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾.

❁ ❁ ❁

تُعَلِّلُ بصلاحِكَ الشتاءَ والصيف.

أتأمَنُ ما أتى يا مَنْ قتلَهُ الرجاءُ وسوفَ وكيف.

أما علمتَ أنَّك في الدنيا مثلُ ضَيْف.

يأتيكَ الفقيرُ فتعِدُهُ! لا تفعلْ فالوقتُ سيف.

المالُ حاضرٌ والوعدُ نقدٌ زيف.

وفُرانِق[٢] الفوتِ يصيحُ بين يديْ أسد الموتِ الذي قد دنا.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾.

❁ ❁ ❁

(١) من قصيدة للخفاجي.

(٢) هو سبع يصيح بين يدي الأسد كأنه ينذر الناس به. انظر: لسان العرب(١٠/٣٠٧).

كم ندم جامعُ المال يومَ الفراق.

وقد التفتِ الساقُ بالساق.

سبقَهُ الصالحون وما تَرَكَهُ ما تَرَكَهُ يُطيق اللحاق.

مَنْ له إذا رأى روحَهُ في السياق.

ونزَلَ به مِنْ كُرَبِ الموت ما لا يُطاق.

لقد تمنّى عوضَ ما جَمَعَ واقتنى وقتنا.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾.

❁ ❁ ❁

يا تجارَ الدنيا هذه الأرباح.

يا طلابَ الاكتساب عندنا الرباح.

يا أربابَ الأسفار يلقون الحرَّ و الرياح.

ما لنا نطلبُ ما لنا فتمنعونا يا وقاح.

عاملونا بالضِّعْفِ فما في الرِّبا معنا جُناح.

ولكن بشرطِ أن يكون الرِّبا بيننا.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾.

❁ ❁ ❁

ما لكَ مِنْ مالِكَ بعد الموت نقير.

غير أنَّك إلى ذرَّةٍ مِنْ أجرٍ فقير.

وبوزرِ أوزارِكَ عقير.

لقد بعتَ أنْفَسَ الأشياءِ بأحقرِ حقير.

كم تتعلَّلُ بالتوفيق؟ هذا المالُ وهذا الفقير.

(هذه الخَيفُ وهاتيكَ منى)[1].

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾.

❁ ❁ ❁

(١) مطلع قصيدة لابن أفلح (ت:٥٣٦هـ). انظر: المنتظم (١٦/٣٤٠)، والبداية والنهاية (١٢/٢٧٩). ونسبه ابن رجب في لطائف المعارف ص٢٥٧ إلى ابن الجوزي خطأً.